من الف ليلة

ولن تعـــــود !

للأستاذ خلف القاضى

المدرس بالناصرية

قال صاحبي : لم أختر يوم السفر . ولا رقم القطار . ولا وقفة الرصيف وإنما أكرهنى الليل الظلوم ، على الرحيل ، ودفعتنى قوة خفية غلابة ، فيهـا خوف ، وفيها رجاء .

ركبت القطار ، ودخلت الديوان ، وتوسمت الرفاق ، فرأيت رجلا وشابا وامرأة وفتاة . . . . .

عبس الفتى ، وافتر ثغر .... حين اتخذت مجلسى بينهم ، وسار ابن البخار مجدا ، يحمل الشوق والأمل ، إلى الحاضرة ، وتلفت إلى الغرب من النافذة ، فرأيت القمر ، يسير فى بحر من سمائه ، ويلقى بشعـاعاته على صفحة النهر ، وأبصرت الأشجار ، وهى تتواثب رأى العين ، والقرى تتخلف عن الركب حتى .....

ثم طوى الأفق وجه القمر ، فأسيت لفراقه ، وحزنت لغيابه ... وبقى النور الأزرق ، ليدل علينا ، وما كنت أدرى أن القمر الثانى تحجب محياه بالغلالة ، حتى اهتز القطار عنيفا ، فسقط المتاع ، فريعت الظعينة ، وانزاح الستر عن إلهة الصيد « ديانا » وهتفت بدعاء جميل !

أرأيت إلى الكشاف - حين يساط شعاعه ؟ .

أرأيت إلى المغنسيوم ، حين يتوهج ضياؤه ؟ .

صفاء ولا ماء ، ولطف ولا هوا .

ونور ولا نار ، وسكر ولا خمر .

هكذا كانت مقصورتى ، فيض من النور ، ومد بالحبور ، وهزج بالحياة بعد الركود ، ومقام يحلو بعده النشور ...

وجرى الحديث لينا وادعا ، ثم تلون عنيفا مؤثرا ، فتركنا لازيس ، زمام الكلام ، فقصت الأفانين ، وروت الشجون .

أرأيت إلى النفاثات فى العقد ؟ ! .

أم سمعت حديث السلاف بنت الحقب ؟ ! .

لقد كنا نستمع إلى وحى الفن ، من الهة اليونان : فينوس !

ونظام الحكم ، وخفايا الحرب ، من فاتنة الزمان : كليوباترة ! .

وألحان الهوى ، تزجى إلى كيتاهور الامير المصرى من ملكة اشور وفلسفة الايام تروى الى شهريار ، من فتاة بغداد ! .

قال صاحبي :

وأسرع الزفوف فى السير ، ثم وقف ليستأنف السرى ، فدل الضوء على باعثه ، ونم الزهر عن شذاه ، وتهافت الراحلون على الديوان ، كالفراش ، أو الهيم العطاش ، على مورد الماء ، وأمسى المكان كشكنة النحل ، ونحن اليعاسيب ، نذود الغزاة ، أو خط ستالين ، ونحن الحماة ، أو هيكل المعبد ، ونحن حراسه ، أو تمثال الحرية ، ومصطفى وفريد ، من هواته ، أو أثر شريف والصحب من رواته ، أو ينبوع حلوان ، وأنا وأنت من سقاته ...

وسكن الليل ، وهجع الرفاق ، ونامت الفتنة ، وسكن الهزار ، وتوارى المصباح ، وبات شهريار ، يقظان ، يحرس الصنم ، ويطرد الأشباح الحمر ، حذر أن

تزور رأسها الوسنان ، ويحصنها بالتعاويذ، من حرب السماء ، ويدرأ عنها عادية البرد ، من النافذة والباب ،

لك الله يافلب ! أهذه ليلاك التى وقف عندها الأمل ؟

وتغنى بها قيس وإدور فى البيد والحضر ؟

نعم .... ولكن باعد القدر ! .

ثم أيقظها الظمأ ، فاستسقت والماء عزيز المنال ، فناديت موسى ، وطلبت عصاه ، وتمت المعجزة ، فالتقى الماء على أمر قد قدر ! . . .

وقالت : لم لم تنم ، وكل الصحب زاره الكرى ؟

قلت : طيف ألم ، وروح تلاقى بروح ، وفؤاد أرسل ، وجهاز استقبل .. وعهدى بالظبيات أن تسكن القاع

قالت : عدا المغير على الكناس ، فهربت جارة الوادى ، إلى الريف النائى تنشد السلوى ، وتلتمس السلام ! .

واليوم ! دعا الطير اليفه ، وتاقت الحمامة إلى الوكر ! .

قلت : لم نسمع قصة من شهرزاد ؟ ! .

قالت : ادركنى الصباح

قلت : أهذه ليلة القدر ، أم ساعة النصر ؟ ،

قالت : بل عرش بلقيس يحف به سليمان .

قلت : أو ليلة الاسراء ، أو وعد الكليم فى طور سيناء !

قال صاحبى :

وترفق القطار حين اقترب من القاهرة وأخذيتن حتى تخاذل من شدة الاعياء وتثاءب فانساب الناس.قلت : قفا نبك . قبل الوداع ! .

قالت : إن السماء توارت بحجاب من الغمام ، والندى متحير فى عينيك والمنى بين يديك ! .

قلت : متى أراك فى عش الخيلة ، على ربا النيل ؟ . قالت : أنا من حمام عين شمس ، ولست من الزاجل الذى يحل صيده فى الحرب ! .

قلت : هل تذكرين ؟ ؟ ؟ .

قالت : إنها ليلة من ليالى بغداد ! .

أوحلم ، ينسب إلى شهرزاد ! .

قلت : سيظل شهريار فى الانتظار ، ليسمع القصة التالية

قالت : هيهات ! ! ! .

قد كان قبل ذلك مرة . . . فاليوم . لا ! . ذهبت مع الريح ، ولن تعود ! ! ! ؟

(طبق الاصل)

مخلف القاضى

المدرس بمدرسة الناصرية